العقل عند الأشعرية
بين أصول الدين وأصول الفقه

The mind of the Ash'aris between the principles of religion and the principles of jurisprudence

م. م. نور عماد عبود

M. Noor Emad Aboud

الجامعة العراقية / كلية العلوم الاسلامية

The Iraqi University

College of Islamic Sciences

noorimad810@gmail.com

07714803523

ملخص

يظهر أنَّ رأي الأشعرية يتقلب بين رأي اصحاب النقل ، والعقل، والسبب هو أن العقول المستقلة عن الوحي عاجزة تمامًا عن التعامل مع الأمور السماوية، وما خفي ما هو إلا اداة تعمل على فهم الوحي المنزّل، وبهذا يتبين أنّ الأشعريّة لقد استخدموا العقل في مجال يمكن فيه استخدام العقل فقط ، ويكون استعمال النّقل يترتب عليه المحال، كما يكون إهمال العقل فيه يؤدي لإبطال العقل والنّقل معاً، فهم قد استخدموا العقل في المجال الذي يجب ان يستخدم فيه، وهذه هي الحكمة.

الكلمات المفتاحية : الاشاعرة ، العقل ، النص الديني.

Abstract:

It appears that the opinion of the Ash'aris fluctuates between the opinion of the owners of the transfer, and the mind, and the reason is that the minds independent of revelation are completely unable to deal with heavenly things, and what is hidden is only a tool that works to understand the revelation of the house, and thus it turns out that the Ash'aris have used the mind in a field where the mind can be used only, and the use of transport entails the assigned, as the neglect of the mind in it leads to the invalidation of the mind and transport together, they have used the mind in the field in which it must To be used in it, this is wisdom.

Keyword : Ash'arism, Mind, and Religious Text.

المُقدِّمة

بسم الله الرّحمن الرّحيم، والحمد لله ربّ العالمين، والصّلاة والسّلام على خير المرسلين سيّدنا محمّد صلّى الله عليه وآله وسلّم، وأمّا بعد..

ان استخدام العقل في النصوص الشرعية يتطلب فهم النص بعمق ، وتحليله بناء على السياق التاريخي والثقافي واللغوي ، وتطبيق المنهج العقلي في استنتاج الاحكام والمعاني وتفسير النصوص بشكل منطقي ومتأنٍ ، والبحث عن الأدلة والدلائل المتعلقة بالتفسير مع الاستعانة بالمصادر الشرعية، والفقهية لفهم القواعد، والمبادئ الدينية بشكل دقيق وسليم ، وبالطبع ان القران الكريم يشجع على استخدام العقل والتفكير النقدي في فهم الامور الدينية والفقهية حيث يجب على المسلمين ايضاً استخدام العقل في ضوء السياق الاجتماعي والثقافي ، واستخدام العقل لفهم مبادئ الدين، وتطبيقها بما يتناسب مع الظروف المعاصرة مع الحفاظ على نفس القيم الأساسية للإسلام ، حيث إنّنا سنتناول الحديث عن العقل عند مدرسة الأشعرية، في بحثٍ كان إطاره مقدّمة وخاتمة ، وفصل بعددٍ من المباحث الّتي تناولت الدّراسة من جميع جوانبها، حيث كانت البداية تعريفيّة بالمدرسة ومؤسّس هذه المدرسة والعلماء الّذين اتّبعوا المنهج الخاصّ بها، كما انتقلنا للحديث عن الأشاعرة بشكلٍ عامٍّ ، وكيفيّة ظهورهم وتناولهم للنّصوص، وبعد ذلك بدأ التّخصيص في ميدان العقل عندهم، وكيف يعتمدون عليه في التّفسير، والتّحليل، والاتّباع، وكأنّه الأساس والمعيار والمنهج المعتمد.

مشكلة البحث: يُعدّ موضوع «العقل» من المواضيع الحساسة في العقيدة الإسلامي، وقد أثار جدلًا واسعًا بين مختلف المذاهب، يُمكن أن تُواجه هذه المشكلة الباحث في صعوبة طرح آرائه بحرية، ممّا قد يُؤدّي إلى تحيّز البحث، حلّ هذه المشكلة: التزام الموضوعية:عند عرض مختلف الآراء، تجنّب إصدار الأحكام المُسبقة، احترام آراء الآخرين.

أهداف البحث:

يهدف البحث الى فهم دور العقل عند الاشعرية وماهي حدود العقل عندهم وما هو موقف الاشاعرة من المعتزلة والسلف بخصوص استخدام العقل مع التعريف بهذه المدرسة ، ومنهجها ، وطريقتها ومؤسّسها، وكيفيّة اتّباع هؤلاء الأشاعرة لهذا المنهج.

خطّة البحث:.

المقدّمة:

أ- مشكلة البحث.

ب- أهداف البحث.

الفصل الأوّل: المدرسة الأشعريّة واعتماد العقل.

المبحث الأوّل: المدرسة الأشعريّة.

المبحث الثّاني: منهج الأشاعرة.

المبحث الثّالث: العقل عند المدرسة الأشعريّة.

الفصل الأوّل
المدرسة الأشعريّة واعتماد العقل

المبحث الأوّل: المدرسة الأشعريّة:

الأشعريّة هي من مدارس الدّين، فهي مدرسة إسلاميّة سنّيّة، وسمّيت بهذا الاسم؛ نسبةً لمؤسّسها وإمامها أبي الحسن الأشعريّ ، الّذي انتهى نسبه إلى الصّحابيّ أبي موسى الأشعريّ، وهناك عدد من العلماء الّذين اتّبعوا منهجها نذكر منهم:

- البيهقيّ(١).
- أبو بكر الباقلّانيّ(٢).
- الشّريف الجرجانيّ(٣).
- القشيريّ(٤).
- الفخر الرّازيّ(٥).
- أبو حامد محمّد بن محمّد بن محمّد بن أحمد الغزاليّ(٦).

---

(١) البيهقي : هو الحافظ العلامة ، الثبت ، الفقيه ، شيخ الإسلام أبو بكر ، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردي الخراساني وبيهق : عدة قرى من أعمال نيسابور على يومين منها ولد في سنة أربع وثمانين وثلاثمائة في شعبان . ينظر : سير اعلام النبلاء : ج١٨ : ص:١٦٣ .

(٢) الباقلاني : الإمام العلامة ، أوحد المتكلمين ، مقدم الأصوليين ، القاضي أبو بكر ، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن قاسم ، البصري ، ثم البغدادي ، ابن الباقلاني ، صاحب التصانيف ، وكان يضرب المثل بفهمه وذكائه ، ينظر المصدر نفسه : ج١٧ : ص١٩٠

(٣) الشريف الجرجاني : شيخ العربية أبو بكر ، عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني ، توفي سنة إحدى وسبعين وأربعمائة وقيل سنة أربع وسبعين : ينظر المصدر نفسه : ج١٨ :ص ٤٣٢.

(٤) القشيري : لإمام الزاهد ، القدوة ، الأستاذ أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك بن طلحة القشيري ، الخراساني ، النيسابوري ، الشافعي ، الصوفي ، المفسر ، صاحب « الرسالة ولد سنة خمس وسبعين وثلاثمائة ، ينظر: المصدر نفسه : ص٢٢٧.

(٥) فخر الرازي : ولد سنة أربع وأربعين وخمسمائة ، العلامة الكبير ذو الفنون فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين القرشي، ينظر :المصدر نفسه : ج٢١ : ص ٥٠١ .

(٦) الغزالي : الشيخ الإمام البحر ، حجة الإسلام ، أعجوبة الزمان زين الدين أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي ، الشافعي ، الغزالي ، صاحب التصانيف ، والذكاء المفرط . ينظر: سير الاعلام : ج١٩ :ص ٣٢٢ .

- ابن عساكر[١].

وإنّ الأشاعرة هم فئة من جماعة السّنّة، لم يعتمدوا مخالفة إجماع الأئمة : أبو حنيفة ، ومالك ، والشّافعي، وأحمد، كما أنّهم في المقابل لا يقومون بتكفير أحد من المسلمين، وإنّ أتباع هذه المدرسة يعتبرون أنفسهم المنهج الواقع بين دعاة العقل المطلق، وبين المتوقفين عند حدود النّصّ ، لكنّهم قدّموا النّصّ على العقل، وجعلوا العقل مدخلاً في فهم النّصّ، ذاك العقل الّذي أشارت إليه الآيات القرآنيّة الكثيرة والّتي تحمل معاني التّفكّر، والتّأمّل والتّدبّر.[٢]

وكان ظهور الأشعرية محطة تغير في حياة أهل السنة، بالإضافة إلى الجماعة التي كانت بنيتها المذهبية مدعومة بمجموعة من الأساليب ذات الطبيعة اللفظية، مثل المنطق والقياس.

وكانوا يعتمدون في الوقت ذاته على نصوص الكتاب الكريم ، والأحاديث الشّريفة، فإنّهم كانوا يستخدمون الدّليل العقليّ خلال تناولهم لعدد من الحالات عندما يوضّحون عدد من المسائل المرتبطة بالعقيدة، فقال أبو الحسن النّدويّ وهو من كبار علماء الهند واحد المفكرين فيما يخصّ الأشاعرة «وكان الأشعريّ مؤمناً بأنّ مصدر العقيدة هو الوحي، والنّبوّة ، إضافةً إلى ما تمّ إثباته عن الصّحابة الكرام، فيعتقدون أنّ الدّفاع عن العقيدة الصّحيحة وتثبيتها في قلوب الأجيال الإسلاميّة الجديدة، وإنّ ذلك يكون بحاجة إلى الحديث بلغة العصر العلميّة المستعملة، واستخدام المصطلحات العلميّة مع مناقشة المعارضين على الأسلوب العقليّ الّذي يعتمدونه، كما أنّه ما كان يشجّع هذا الأمر فقط، وإنّما هو بمثابة الجهاد الأفضل والقربات الأعظم في هذا العصر»[٣].

وكان ابن عساكر يقول بأنّ الأشعريّ خلال مدّة من الزّمن اعتزل البشر ، وكانت هذه المدّة قوامها ١٥ يوماً، إذ تفرّغ في منزله من أجل الدراسة والبحث، وفيما بعد خرج إلى الخلق في المسجد الجامع، وأخبرهم بأنه ترك من الّذي كان يعتقده وهو المعتزلة، ورمى كتبه الجديدة للنّاس فحصل بذلك الأشعريّ على تأييد كبير من النّاس، وأمّا عن انصاره فشهدوا تزايداً، ومؤيّديه

---

(١) ابن عساكر : الإمام العلامة الحافظ الكبير المجود ، محدث الشام ، ثقة الدين أبو القاسم الدمشقي الشافعي ، صاحب « تاريخ دمشق « ولد في المحرم في أول الشهر سنة تسع وتسعين وأربعمائة وسمعه أخوه صائن الدين هبة الله في سنة خمس وخمسمائة وبعدها ، وارتحل إلى العراق في سنة عشرين ، وحج سنة إحدى وعشرين ..،ينظر سير الاعلام: ج٢٠ :ص ٥٥٥

(٢) ينظر: السنان والعنجري: حمد وفوزي: أهل السنة الأشاعرة شهادة علماء الأمة وأدلتهم: ج١: ط١: دار الضياء للنشر والتوزيع: بيروت: ١٩٨٨م: ص: ٢٤٨.

(٣) الندوي: أبو الحسن الأشعري: ج١: ط١: المختار الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع: القاهرة: ١٩٨٦م: ص: ٥٤.

كانوا حكّاماً وعلماء، فأطلق عليه عدد من أهل عصره بلقب «إمام السّنّة والجماعة»[١].

فيتساءل سائل عن شخصيّة أبي الحسن الأشعريّ، ليأتي الجواب كالتّالي:

أبو الحسن علي، وينتسب إلى أبي موسى الأشعريّ، وهو واحد من العلماء الّذين برزوا في القرن الثّالث، وكانت ولادته في مدينة البصرة مولده قيل سنة ستين ومائتين، وقيل ايضاً: سنة سبعين وقيل بقي لسنة : ثلاثين وثلاث مائة ، وكان عجبًا في الذكاء، وقوة الفهم. ولما برع في معرفة الاعتزال، كرهه وتبرأ منه، وصعد للناس، فتاب إلى الله تعالى منه، ثم أخذ يرد على المعتزلة لأبي الحسن ذكاء مفرط، وتبحر في العلم، وله أشياء حسنة، وتصانيف جمة تقضي له بسعة العلم أخذ عنه أئمة منهم: أبو الحسن الباهلي[٢]، وأبو زيد المروزي[٣]، وأبو عبد الله بن مجاهد البصري[٤][٥].

(١) ينظر: ابن عساكر: تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام الأشعري: ج١: ط٢: دار الفكر: القاهرة: ١٩٧٩م: ص: ٤٧٢.

(٢) أبو الحسن الباهلي البصري: تلميذ أبي الحسن الأشعري برع في العقليات، وكان يقظًا فطنًا لسنًا صالحًا عابدًا ينظر : سير الاعلام : ج١٢ :ص ٣٢٢.

(٣) ابو زيد المروزي : الشيخ الإمام المفتي القدوة الزاهد شيخ الشافعية أبو زيد محمد بن أحمد بن عبد الله بن محمد المروزي ، قال الحاكم قَالَ الحَاكِمُ: كان احد ائمة المسلمين، ومن احفظ الناس للمذاهب, واحسنهم نظراً وازهدهم في الدنيا, سَمِعْتُ ابا بكر البزاز يَقُوْلُ: عادلت الفقيه ابا زيد مِنْ نيسابور الى مكةَ, فما اعلم ان الملائكة كتبت عليه الخطيئة. ينظر المصدر نفسه: ج ١٦ : ص٣١٣ .

(٤) ابو عبدالله بن مجاهد البصري : من أخص تلامذة الإمام أبي الحسن الأشعري، وهو من أهل البصرة، وسكن في بغداد وعليه تتلمذ القاضي الباقلاني وله كتب في الأصول قدم بغداد ، وصنف التصانيف ، ودرس علم الكلام ، اشتغل عليه القاضي أبو بكر بن الطيب قال الخطيب : ذكر لنا غير واحد أنه كان ثخين الستر ، حسن التدين جميل الطريقة رحمه الله . وكان أبو بكر البرقاني يثني عليه ثناء حسنا ، وقد أدركه ببغداد فيما أحسب : ينظر : : تبيين كذب المفتري : لابن عساكر : ص ١٧٧ .

(٥) ينظر: سير أعلام النبلاء ، شمس الدين محمد ٦٧٣ - ٧٤٨ هـ : تحقيق محمد أيمن : ج١١:دار الحديث: القاهرة – مصر : ٢٠٠٦م : ص :٣٩٢.

المبحث الثّاني
منهج الأشاعرة

إنّ هذا المنهج كان أحد الأشاعرة قد قاله ألا وهو «الباقلانيّ»[١] من خلال المسألة المتعلّقة بالتّجوير والتّعديل، حيث قال: «إن قال قائل: فهل يصحّ على قولكم هذا أن يؤلم الله سائر النّبيّين وينعم سائر الكفرة والعاصين من جهة العقل قبل ورود السّمع؟ قبل له: أجل، له ذلك، ولو فعله لكان جائزاً منه غير مستنكر من فعله، فإن قال قائل: فما الّذي يؤمنكم من تعذيبه المؤمنين وتنعيمه الكافرين؟ قيل له: يؤمننا من ذلك وقيل النّبيّ، وإجماع المسلمين على أنّه لا يفعل ذلك، وعلى أنّه قد أخبر إخباراً علموا قصده به ضرورةً إلى أنّ ذلك لا يكون، ولولا توقيف هذا الخبر لأجزنا ما سألت عنه»[٢].

كما أنّ النّصّ عند الأشاعرة بشكلٍ عامٍّ هو كلام الباري ﷻ ، وهو المعنى الكائن في النّفوس والّذي وصل إلى النبي صلّى الله عليه وسلّم من خلال الوحي، وتمّ تبليغنا بمجموعة من الألفاظ العاملة على التّعبير عنه، ولا سيما أنّ هذه الألفاظ لا تتعارض مع العقل؛ لأنّ العقل هو الّذي يعمل على إثبات النّقل وعلى هذا الرأي « الإيجي» [٣]، ورغم ادعاء الأشاعرة بالاعتدال، إلا أنهم في هذه المسألة أقرب إلى المعتزلة، إذ لا فرق بين الإيجي، والقاضي عبد الجبار الذي قال: «فاعلم ان الدلالة اربعة : حجة العقل ، الكتاب ، السنة ، والاجماع ، ومعرفة الله لا تنال الا بحجة العقل.....»[٤].

---

(١) الباقلاني : الإمام العلامة ، أوحد المتكلمين ، مقدم الأصوليين ، القاضي أبو بكر ، محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن قاسم ، البصري ، ثم البغدادي ، ابن الباقلاني ، صاحب التصانيف ، وكان يضرب المثل بفهمه وذكائه .، ينظر المصدر السابق : ج١٧ : ص١٩٠ .

(٢) ينظر: مشكلة النص والعقل في الفلسفة الاسلامية : رواء محمود : دار الكتب العلمية : لبنان :١٩٧١ :ص ٤٢.

(٣) الايجي : هو الإمام العلامة القاضي عضد الدين أبو الفضل عبد الرحمن بن ركن الدين أحمد بن عبد الغفار بن أحمد الإيجي البكري المطرزي الشيرازي، من نسل أبي بكر الصديق، ولد بإيج من نواحي شيراز بعد سنة ٦٨٠ هـ وقيل ٧٠٠ هـ. : جرت له في آخر حياته محنة مع صاحب كرمان مبارز الدين محمد بن مظفر الدين حيث غضب عليه فحبسه بقلعة دِرَيمِيان فمات مسجونًا في سنة ٧٥٦ هـ وقيل قبلها ينظر : سير الاعلام : ج ٢١ : ص : ٧٥ .

(٤) ينظر: الاصول الخمسة : القاضي عبدالجبار : تحقيق الدكتور فيصل بدير : ١٩٩٨ م : ص ٦٦.

المبحث الثّالث
العقل في المدرسة الأشعرية

إنَ الأشعريّة يقومون على امر مفاده أنّ النّقل لا يمكنه أن يناقض العقل قطعاً؛ لأنّ هذا الأمر تكون نهايته عدم صحة العقل والنّقل بشكلٍ متساوٍ.

ورغم كون العقل هو الّذي يدعو إلى الإيمان لكنه لا يستطيع التّحليل والتّحريم، ولا يستطيع التّحسين والتّقبيح، وجميع الوظائف الّتي أسلفنا ذكرها هي مهام اوجبتها الشّريعة، كما أنّ الله ﷻ أمر باتّباع اوامره، والتزام دينه، وكان هذا في قوله: ﴿**وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ**﴾(١).

ويظهر أنَّ رأي الأشعرية يتقلب بين رأي المعتزلة ، و السلف والسبب هو أن العقول المستقلة عن الوحي عاجزة تمامًا عن التعامل مع الأمور السماوية، وما خفي ما هو إلا اداة تعمل على فهم الوحي المنزّل.(٢)

ولا شكّ أنّ الدّين الإسلاميّ يوجد فيه ما يعتبر معقولاً، وفيه ما يعتبر غير معقول، ومثاله: المعجزات الواجب علينا التّسليم بها، وذلك بسبب عجزنا عن البرهنة، وعجزنا عن الاستدلال عليها كمعجزة انشقاق القمر وغيرها.

وقد حدث اتّفاق بين أئمّة الأشاعرة فيما يتعلّق بالقول في حدود العقل إضافةً إلى نسبيّته، وكان تلك المحدوديّة تتمثّل فيما يلي:

- نسبيّة القيم.
- نفي العلّية.
- إنكار وجود الكلّيات.

وتلك مجموعة من الأسس الّتي قام الأشاعرة بالاحتجاج بها للعمل على تجريد العقل من جميع الإمكانيّات لإظهار الحكم اليقيني ذي الطّابع المطلق، وهذا يعني أن نجعله مقتصراً على

---

(١) سورة آل عمران: الآية: ٨٥.

(٢) ينظر: الباقلاني : الانصاف فيما يجب اعتقاده ولايجوز الجهل به : تح محمد زاهد : مؤسسة الخانجي :مصر:ط٢: ١٩٦٣:ص١٣

امتلاك الحقيقة بذاته دون ورود النّقل.(١) ، ولا بدّ من الإشارة إلى أنّ تلك السّمة للعقل ترسم الحديد لكلّ ما يمكنه القيام به في فهم النّقل، فلا يستطيع دليله حتّى ولو بلغ أقصى قواه إبطال أو تشكيك ما هو موجود بصراحته ضمن النّصّ، ففي حال تضمّن النّصّ مجموعا من الأمور الّتي يتقبّلها العقل ويسلّم بها فإنه لأمرٌ ضروريٌّ أن يدخل فيه ما يعلو على العقل وما يكون ممتنعاً عليه.

حيث نرى أنّ العلّامة «الباقلّانيّ» أعطى الأولويّة للنّصّ وكان هذا على حساب العقل، فعندما يقرّ النّصّ أيّ حكمٍ فلا يمكن لأيّ عقلٍ سويٍّ أن يتقبّله؛ إذ إنّ العقل تابعٌ لا متبوع.(٢)

وتلك الأفكار كان العلّامة البزدويّ(٣) ت ٤٨٢ه قد أكّد عليها ضمن كتابه «**أصول الدّين**» وكان هذا في قوله: «لا يجب على العاقل أن يؤدّي شيء ما سوى بالخطاب من الله تعالى على لسان أحد خلقه وعباده، كما أنّ الاقتناع لا يجب إلّا عن شيءٍ به، وهذا ما قاله الأشعريّ أيضاً»(٤).

ويرى «الجوينيّ»(٥) أنّ الاطّلاع على الشّريعة هو أمر واجب وشرعي، أمّا بالنّسبة للقضايا الّتي تخرج عن العقيدة فإنّه من الممكن للعقل أن يصل فيها إلى حقائق ذات طابع يقينيّ حيث قال: «العقل لا يمكنه أن يدرك أمر حسن شيء كما لا يمكنه أن يدرك أمر قبحه في حكم التّكليف، وإنّما يتلقّى التّحسين والتّقبيح من مصادر الشّريعة وموجب السّمع وأساس القول في هذا لا يحسن لنفسه ولا يحسن لجنسه صفة ضرورية تلازمه، ولا سيما القول فيما يقبح ومن الممكن أن يحسن في الشّريعة ما يقبح مثله الّذي يساويه في جملة إحكام صفات النفس»(٦).

---

(١) ينظر: الشريف الجرجاني: شرح المواقف لعضد الدين الإيجي: صححه: محمود عمر الدمياطي: ج٦: ط١: دار الكتب العلمية: بيروت: د. ت: ص: ٤٩.

(٢) ينظر: الباقلاني ، ابو بكر : كتاب تمهيد الاوائل وتلخيص الدلائل : تح الاب ريتشارد : الكتب الشرقية :بيروت :١٩٥٧:ص٣٤٣

(٣) البزودي : يلقب بالقاضي الصدر هو العلامة شيخ الحنفية بعد أخيه الكبير ، أبو اليسر محمد بن محمد بن الحسين ابن المحدث عبد الكريم بن موسى بن مجاهد النسفي وبزدة : قلعة حصينة . ينظر : سير اعلام النبلاء : ج١٩ : ص ٤٩ .

(٤) ينظر: البزدوي : اصول الدين :تح هانز : دار احياء الكتب العربية : القاهرة : د-ط :١٩٦٣ : ص ٢٠٧

(٥) الجويني : شيخ الشافعية ، أبو محمد ; عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد بن حيويه ، الطائي السنبسي كذا نسبه الملك المؤيد الجويني والد إمام الحرمين كان فقيها مدققا محققا ، نحويا مفسرا . ينظر : سير اعلام البنلاء : ج١٧ :ص٦١٧ .

(٦) ينظر: الجويني: أبو المعالي: البرهان في أصول الفقه: ج١: ط٤: تحقيق: د. عبد العظيم محمود الديب: دار الوفاء: مصر: ١٤١٨م: ص: ٩٥.

ويتميز الاشاعرة بخصائص الوسطية والشمولية وتعتبر عقيدتهم وسطية بين الغلو والجفاء، فنرى ان امامهم عندما بلغ الصراع الفقهي بين المذاهب اصحاب النقل واصحاب العقل قد سلك طريق وسط بينهم، وبهذا اقام عقيدته أو العقيدة الاشعرية بأن يجمع بين النقل، والعقل ، وخاصة بما يتصل بالصفات والذات والامور الالهية الغيبية.(١)

وهكذا فإنّ الأشاعرة يعملون على نفي الفعل في ذات نفسه سواء أكان خير أو شرّ فلا يكون الفعل خيراً في حدّ ذاته أو يكون خيراً لأنّه كذلك، وإنّما هو خير لأنّ الشّريعة جعلته خيراً، كما أنّ الحسن هو الّذي جاء في الشّريعة بالثّناء على الفاعل الّذي قام به ، وإنّ القبيح هو الّذي جاء في الشّريعة من خلال ذمّ الفاعل الّذي قام به، فالعقل هو الّذي يخبر عن الأمور الّتي بيّنها الشّرع، وذلك الأمر يؤكده واحد من الأشاعرة أيضاً ألا وهو «أبو حامد الغزالي» وكان هذا عندما قام باعتبار معرفة الله سبحانه وتعالى واعتبار طاعته أمر واجب في الشّرع.(٢)

وقد تمّت الملاحظة في المسائل الّتي تمّ طرحها سابقاً، والّتي تتناول الحديث عن المعتزلة في أنّ علاقة النّصّ بالعقل هي ظاهرة بشكلٍ جلِيٍّ في النّطاق النّظريّ، والمجال التّنظيريّ، وظهر ذلك عندما تمّ تعيين المفهوم الخاصّ بالتّأويل، إضافةً إلى المجال الإجرائيّ العمليّ والّذي يتمثّل في التّأويل في المنهج والتّطبيق ، أمّا عن التّطبيق فيقصد به تنزيل النّصّ على ما هو واقع، وهذا يعني تأويل المتشابه بهدف فهمه من أجل ممارسته بطريقةٍ عمليّةٍ.(٣)

ثمّ جاء أبو حامد الغزاليّ(٤) وقدّم رسالة مفادها قانون التّأويل، إذ إنّها تضمّنت تحديد معالم ذلك القانون، حيث قال: «لا يوجد هناك طائفة من أهل الدّين الإسلاميّ إلّا يكون مضطّراً للتّأويل، حتّى الّذي كان منهم غير مدقّق في النّظر العقليّ» وكان بذلك مقصده أحمد بن حنبل(٥).

فنتوصّل إلى كون الأشعريّة حتّى وإن قدّموا النّقل على العقل فإنّهم لم يتجاوزوا بالإهمال أهمّية العقل، وفي ذاك الصّدد يقول الغزاليّ:

(١) ينظر: د عبدالرحمان حيشي : المذهب الاشعري واثره في التفسير :ص٢٠

(٢) ينظر: ابو حامد الغزالي : احياء علوم الدين : قواعد العقائد : بيروت :لبنان : ط١: ١٩٨٣ : ص٣٠

(٣) ينظر: الغزالي: أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين: تحقيق: سيد عمران: ج١: ط١: دار الحديث: القاهرة: ٢٠٠٤م: ص: ١١٥.

(٤) الغزالي : الشيخ الإمام البحر ، حجة الإسلام ، أعجوبة الزمان زين الدين أبو حامد محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الطوسي ، الشافعي ، الغزالي ، صاحب التصانيف ، والذكاء المفرط . ينظر: سير الاعلام : ج١٩ :ص ٣٢٢ .

(٥) ينظر: الغزالي: أبو حامد الغزالي: المستصفى في علم الأصول: محمد عبد السلام عبد الشافي: ج١: ط١: دار الكتب العلمية: بيروت: ١٤١٣ه: ص: ٢٠.

«إنّ الّذي يقنع بتقليد الأثر والخبر وينكر مناهج البحث والنّظر لا يثبت له الصّلاح، والسّبب في ذلك هو برهان العقل الّذي يعرف به صدق الشّارع، والّذي يكون مقتصراً على ماهيّة العقل ولا يستضيء بنور الشّريعة كما أنّه لا يهتدي إلى صواب الأمر، ومثل العقل البصر السليم عن الآفات والإيذاء، فالمُعرض عن العقل نلحظ اكتفاءه بنور القرآن مثله مثل المُعترض لنور الشمس الّذي يغمض الأجفان فلا فرق بينه وبين العميان» [١]، فيتّضح أنّ العقل مع الشّريعة هما نور على نور، وذلك هو « الإيجي» الأشعريّ تقع عليه الخسارة ضمن تأويلاته الخطاب العقليّ على حساب الخطاب البيانيّ.

فيتبين أنّ المذهب الاشعري جمع بين مسارين متضادين الاول : وقف عند ظاهر النّصّوص واقصى الاعتبار العقلي ، وهم أهل الحديث، وبين من جعل العقل أساساً -وهم المعتزلة- إنّما هو المتقدّم في مصادر التّشريع، حيث إنّ العقل يكون بمقام السّلطة الّتي تأمر للخير وتأمر للشّرّ وهو مصدرهما، ومن خلاله يمكننا معرفة القرآن الكريم والسّنّة النّبويّة الشّريفة و إنّما الله سبحانه وتعالى قد وجّه خطابه للإنسان دون غيره ليس لشيء سوى لكونه عاقل، وفي ذاك المعنى يقول القاضي عبد الجبار [٢] ، «لأن به يفرّق بين ما هو حسن وما هو قبح، ولأن به يعرف أن القرآن الكريم حجّة، إضافةً إلى السّنّة النّبويّة وكذلك الإجماع، ومن المحتمل أن يعجب بعضهم من هذا التّرتيب، حيث دارت الظّنون حول كون الدّلالة هي القرآن الكريم و السّنّة النّبويّة للشّريفة وكذلك الإجماع فقط، أو إنّ الظّنون كان تحوم حول العقل في حالة كونه دالّ على أمور فهو مؤخّر، وليس الأمر بتلك الطّريقة لأنّ الله تعالى لم يخاطب سوى أهل العقل».[٣]

ويكون ذاك تعبير واضح وصريح على تقديم العقل على النّقل، أو كما هو سائد ومعروف عند المعتزلة «العقل قبل مجيء السمع» ، ولعلّه من المقرّر عند الأشعريّة أنّ أسباب العلم تنحصر في ثلاثة وهي: العقل، والحواسّ السّليمة، والخبر الصّادق. وإنّ الخبر الصّادق هو خبر الله سبحانه وتعالى، وخبر رسوله الكريم الصّادق الأمين، وخبر أهل التّواتر، والخبر المؤيّد بالقرائن ، وإنّ مصدر التّلقّي عند الأشعريّة ليس هو العقل فقط، وإنّما هو الخبر الصّادق والعقل.

---

(١) ينظر: المصدر نفسه.ص٢٠ .

(٢) ينظر: القاضي عبدالجبار : فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة : تح فؤاد سيد : الدار التونسية للنشر : ١٩٧٩ : ص١٣٩.

(٣) ينظر: بن فورك: محمد بن الحسن: مقالات الشّيخ أبي الحسن الأشعري إمام أهل السنة: تحقيق: أ. د. أحمد عبد الرحيم السابح: ج١: ط٢: مكتبة الثقافة الدينية: مصر: ٢٠٠٦م: ص: ٢٩.

قال الغزالي: «وأهل النظر في هذا العلم يتمسكون أولاً بآيات الله تعالى من القرآن، ثمّ بأخبار الرّسول صلى الله عليه وآله وسلم، ثمّ بالدّلائل العقليّة والبراهين القياسيّة»[١] .

وكيف يكون مصدر التّلقي عندهم هو العقل وحده ومن مذهبهم أنّه لا مجال للعقل في التّحسين والتّقبيح، وأنّه لا حسن إلّا ما حسّنته الشّريعة ولا قبيح إلّا ما قبّحته الشّريعة، وإنّ الدّين الإسلاميّ هو دين النّقل الّذي يؤيّده العقل، ومن أجل ذلك كان من عادة الله تعالى في كتابه الكريم عندما يوضّح عقيدة من عقائد دين الإسلام أن يربطها بذكر دليلها العقليّ أو يشير إلى هذا الدّليل.

وكذلك لا يتصور أن يكون هناك تناقض بين العقل، والنص القطعي الدليل والمعنى، لأنه لا تناقض بين أمرين لهما طبيعة معينة، بل يتصور صراعا بين العقل والنص ليس قطعيا في برهانه ولا قطعيا في دلالته ومن الممكن أيضًا تصور الصراع بين هذين النوعين من النصوص، وما قرره الأشاعرة من تقديم العقل على النقل يفرض في حال تعارض الثابت بالعقل مع الثبوت القطعي لنص غير قطعي في صحته أو لم تكن دلالته قطعية، كما أنّ أهمّ أصول العقيدة الإسلاميّة لا يصحّ إثباتها سوى بالعقل، وإثباتها بالدّلائل النّقلية أمر لازم للدّور المحال؛ وذلك مثل إثبات وجود الله تعالى وعلمه وقدرته ومشيئته وغيرها ممّا يتوقّف عليه ثبوت الوحي [٢] ، لأن إثبات النقل يعتمد على إثبات الوحي، ودليل الوحي يعتمد على إثباته، فلا يصح الاستدلال عليه بالنقل، والاستدلال عليه بالنقل يقتضي تقديم الشيء على نفسه، وهو المستحيل.

وأما النبوة فنرى أن تأكيدها يعتمد على المعجزة التي تدل عليها عن طريق العقل، فكان العقل أساس النقل والشاهد على حقيقتها، فإهمال العقل إذا كان دليله قطعيا، ويؤدي إنكار مضامينه إلى انهيار النقل الأصلي، والطعن في أدلته التي لم يثبت إلا به، فيكون هذا إبطالاً للنّقل، والقاعدة - كما قلنا - تفرض إذا كان ما أثبته العقل قطعياً يخالف ظاهر نص ليس دليله قطعياً أو دلالته غير قطعية. ، وأما النص القطعي الذي له دليل قطعي على المعنى فلا تعارض متصور بينه وبين العقل، والقاعدة التي وضعها الأشاعرة هي قاعدة ذهبية لا يجوز أن يختلف عليها شخصان ، ولكن تجدر الإشارة أيضاً إلى أن هذه القاعدة قد أسيء استخدامها من قبل بعض المتكلمين، وخاصة المعتزلة منهم، ورفضوا نصوصا كثيرة من السنة المتفق على صحتها ، ففسروا آيات كثيرة وأخرجوها

(١) ينظر: التفتازاني: سعد الدين: شرح المقاصد في علم الكلام: ج٢: ط٢: تحقيق: عبد الرحمن عميرة: عالم الكتب: القاهرة: د. ت: ص: ٣٣٤.

(٢) ينظر: منهج الاشاعرة في العقيدة بين الحقائق والاوهام ،الشيخ محمد صالح بن احمد الغرسي :ص١٠٦

عن ظاهرها ، وليس ذلك سوى لمخالفة هذه النّصوص وهذه الظّواهر لما أدّى إليه اجتهادهم العقليّ المتأثّر بالفلسفة ، وبعقائده الفاسدة، وليس ذلك لمخالفتها للعقل القطعيّ الدّلالة الّذي لا يقبل النّقض(١).

وبهذا يتبين أنّ الأشعريّة لقد استخدموا العقل في مجال يمكن فيه استخدام العقل فقط ، ويكون استعمال النّقل يترتب عليه المحال، كما يكون إهمال العقل فيه يؤدي لإبطال العقل والنّقل معاً، فهم قد استخدموا العقل في المجال الذي يجب ان يستخدم فيه، وهذه هي الحكمة.(٢) ، وتقديم العقل على النقل إذا كان العقل يعارض النقل، وتفسير النقل على هذا التعارض أو رفضه ليس من خصوصيات الأشاعرة، بل هو من قرارات العقول؛ وقد قرره أهل العلم في مختلف العلوم، ومن ذلك على سبيل المثال التفسيرات التي فسر بها السلف عدداً من النصوص في القرآن، والسنة، والتي كان الكثير منها مبنياً على التناقض الظاهري لهذه النصوص مع العقل، وحتى علماء الحديث، الذين قد يظن أنهم أبعد عن هذه المقدمة، قد ذكروا هذه المقدمة في مؤلفاتهم، وجعلوها من أصولهم، حيث قال الخطيب البغداديّ(٣): في «باب القول فيما يرد به خبر الواحد»(٤).

«وإذا روى الثّقة المأمون خبراً متّصل الإسناد رُدَّ بأمور:

أحدها: أن يخالف موجبات العقول فيعلم بطلانه؛ لأنّ الشّريعة إنّما ترد بموجزات العقول، وأمّا بخلاف العقول فلا.

والثاني: أن يخالف نصّ الكتاب أو السّنّة المتواترة فيعلم انّه لا أصل له أو منسوخ.

---

(١) ينظر: المرجع السابق :ص١٠٦

(٢) ينظر: الشريف الجرجاني: شرح المواقف لعضد الدين الإيجي: صححه: محمود عمر الدمياطي: ج٦: ط١: دار الكتب العلمية: بيروت: د. ت: ص: ٤٣.

(٣) الخطيب البغدادي : الإمام الأوحد ، العلامة المفتي ، الحافظ الناقد ، محدث الوقت أبو بكر ، أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي البغدادي ، صاحب التصانيف ، وخاتمة الحفاظ ولد سنة اثنتين وتسعين وثلاثمائة . ينظر : سير الاعلام : ج١٨ :ص٢٧٠.

(٤) منهج الاشاعرة في العقيدة بين الحقائق والاوهام ،الشيخ محمد صالح بن احمد الغرسي ، ص١٠٤.

والثّالث: أن يخالف الإجماع فيستدلّ على أنّه منسوخ أو لا أصل له»[١] ، ويؤيد ابن تيمية أيضًا هذه القاعدة التي استقر عليها الأشاعرة، حيث قال في «**الرسالة التدمرية**» في سياق الاستدلال بمسألة اعتقادية: «والسّمع قد دلّ عليه، ولم يعارض ذلك معارض عقليّ ولا سمعيّ، فيجب إثبات ما أثبته الدّليل السّالم عن المعارض المقاوم»[٢].

(١) اللمع في أصول الفقه ، أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ،٢٠٠٣، ص٨٢.

(٢) شرح القواعد السبع من التدمرية : يوسف بن محمد علي الغفيص ، دروس صوتية على الشبكة الاسلامية: ص ٦.

الخاتِمة

نصل في البحث والدّراسة إلى أهمّية المدرسة الأشعريّة أوّلاً باعتبارها الفئة المعتمدة على العقل والنقل في التّفسير والتّحليل والاتّباع، وثانياً من خلال تبيان أهمّية العقل بشكلٍ أساسيٍّ لتقديمه نتائج علميّة منطقيّة صحيحة، والمنهج العقليّ المتّبع عند الأشاعرة بمن فيهم من مؤسِّس وعالم ودارس، وكيف عملوا على تقديم العقل على النّقل، وما هي توابع هذا الأمر ونتائجه ، كلّ ذلك انطوى بين سطور بحثنا ومضامين دراستنا، وبناءً على النظرة الاشعرية يُعتبر العقل احد الادوات الاساسية التي تمكن الانسان من فهم وتفسير الشريعة الاسلامية ففي عالم الاشعرية يعتبر العقل والنقل الوحي الالهي جزءًا لا يتجزأ من مصادر الدين والفقه.

ففي اصول الدين واصول الفقه يتم التوازن بين استخدام العقل والاعتماد على النصوص الشرعية في استنباط الاحكام الشرعية فالعقل يستخدم لتفسير النصوص واستخراج الضوابط بينما يعتمد على النص في تحديد التفاصيل والاحكام الخاصة.

المصادر والمراجع

١- ابن عساكر: تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام الأشعري: ج١: ط٢: دار الفكر: القاهرة: ١٩٧٩م.

٢- ابن فورك: محمد بن الحسن: مقالات الشّيخ أبي الحسن الأشعري إمام أهل السنة: تحقيق: أ. د. أحمد عبد الرحيم السابح: ج١: ط٢: مكتبة الثقافة الدينية: مصر: ٢٠٠٦م.

٣- الاصول الخمسة : القاضي عبدالجبار : تحقيق الدكتور فيصل بدير : ١٩٩٨ م .

٤- الآمدي: سيف الدين الآمدي: أبكار الأفكار في أصول الدين: ج١: ط٢: تحقيق: أحمد محمد المهدي: دار الكتب والآثار القومية: القاهرة: ٢٠٠٤م.

٥- الباقلاني : الانصاف فيما يجب اعتقاده ولايجوز الجهل به : تحقيق محمد زاهد : مؤسسة الخانجي –مصر :ط٢: ١٩٦٣

٦- الباقلاني : ابو بكر : كتاب تمهيد الاوائل وتلخيص الدلائل : تحقيق الاب ريتشارد : الكتب الشرقية :بيروت :م١٩٥٧.

٧- البزدوي : اصول الدين :تح هانز : دار احياء الكتب العربية : القاهرة : د.ط :١٩٦٣م.

٨- التفتازاني: سعد الدين: شرح المقاصد في علم الكلام: ج٢: ط٢: تحقيق: عبد الرحمن عميرة: عالم الكتب: القاهرة: د. ت.

٩- الجويني: أبو المعالي: البرهان في أصول الفقه: ج١: ط٤: تحقيق: د. عبد العظيم محمود الديب: دار الوفاء: مصر: ١٤١٨م.

١٠- الرازي: فخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب من القرآن الكريم: ج١: ط١: دار إحياء التراث العربي: بيروت: د. ت.

١١- السنان والعنجري: حمد وفوزي: أهل السنة الأشاعرة شهادة علماء الأمة وأدلتهم: ج١: ط١: دار الضياء للنشر والتوزيع: بيروت: ١٩٨٨م.

١٢- سير أعلام النبلاء : شمس الدين محمد ٦٧٣ - ٧٤٨ هـ ، تحقيق محمد أيمن : ج١١: دار الحديث، القاهرة – مصر :٢٠٠٦ م.

١٣- الشريف الجرجاني: شرح المواقف لعضد الدين الإيجي: صححه: محمود عمر الدمياطي: ج٦: ط١: دار الكتب العلمية: بيروت: د. ت.

١٤- الغزالي: أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين: تحقيق: سيد عمران: ج١: ط١: دار الحديث: القاهرة: ٢٠٠٤م.

١٥- الغزالي: أبو حامد الغزالي: المستصفى في علم الأصول: محمد عبد السلام عبد الشافي: ج١: ط١: دار الكتب العلمية: بيروت: ١٤١٣ه.

١٦- القاضي عبدالجبار : فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة : تح فؤاد سيد : الدار التونسية للنشر: ١٩٧٩م.

١٧- اللمع في أصول الفقه ، أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي ، ط٢ ، دار الكتب العلمية :٢٠٠٣م.

١٨- مشكلة النص والعقل في الفلسفة الاسلامية : رواء محمود : دار الكتب العلمية : لبنان: ١٩٧١م

١٩- منهج الاشاعرة في العقيدة بين الحقائق والاوهام ،الشيخ محمد صالح بن احمد الغرسي: د.ت

٢٠- الندوي: أبو الحسن: أبو الحسن الأشعري: ج١: ط١: المختار الإسلامي للطباعة والنشر والتوزيع: القاهرة: ١٩٨٦م.

References:

1-Explaining the Falsehood of the Slanderer Against Imam al-Ash'ar : vol 1: ed 2: Dar al-Fikr: al-Qāhirah: 1979 CE.

2-bn Furuk, Muhammad ibn al-Hasan: Articles of Sheikh Abu al-Hasan al-Ash'ari, Imam of Ahl al-Sunnah: Edited by Dr. Ahmad Abd al-Rahim al-Sabih: Vol. 1, 2nd ed.: Maktabat al-Thaqafah al-Diniyyah: Egypt, 2006 CE.

3-The Five Principles: Qadi Abd al-Jabbar: Edited by Dr. Faisal Badr: 1998 CE.

4-Al-Amidi, Saif al-Din. Original Thoughts in the Fundamentals of Religion. Vol. 1, 2nd ed. Edited by Ahmad Muhammad al-Mahdi. Dar al-Kutub wa al-Athar al-Qawmiyya, Cairo, 2004CE.

5-Al-Baqillani, Abu Bakr. The Book of Justice Regarding What Must Be Believed and What It Is Impermissible to Be Ignorant of. Edited by Muhammad Zahid. Al-Khanji Foundation, Egypt, 2nd ed., 1963CE.

6- Al-Baqillani: Abu Bakr: Book of Preparation of the First Principles and Summary of the Proofs: Edited by Father Richard: Eastern Books: Beirut: 1957 CE.

7-Al-Bazdawi: Fundamentals of Religion: Edited by Hans: Dar Ihya' al-Kutub al-Arabiyya: Cairo: D.T.: 1963 CE.

8-Al-Taftazani, Sa'd al-Din: Commentary on the Objectives of Theology: Vol. 2: 2nd ed.: Edited by: 'Abd al-Rahman 'Umīrah: 'Ālam al-Kutub: Cairo: N.D.

9-Al-Juwayni: Abu al-Ma'ali: The Proof in the Fundamentals of Jurisprudence: Vol. 1: 4th ed.: Edited by: Dr. 'Abd al-'Azim Mahmud al-Dib: Dar al-Wafa': Egypt: 1418 AH.

10-Al-Razi: Fakhr al-Din al-Razi: Keys to the Unseen from the Quran: Vol. 1: 1st ed.: Dar Ihya' al-Turath al-'Arabi: Beirut: N.D.

11-Al-Sanan and Al-'Anjari: Hamad and Fawzi: The Sunni Ash'arites: Testimony of the Scholars of the Nation and Their Proofs: Vol. 1: 1st ed.: Dar al-Diaa for Publishing and Distribution: Beirut: 1988 CE.

12-Biographies of the Nobles: Shams al-Din Muhammad 673-748 AH, edited by Muhammad Ayman: Vol. 11: Dar al-Hadith, Cairo - Egypt: 2006 CE.

13-Al-Sharif al-Jurjani: Commentary on the Positions of ʿAdud al-Din al-Iji: Corrected by: Mahmoud ʿUmar al-Dimyati: Vol. 6: 1st ed.: Dar al-Kutub al-ʾIlmiyyah: Beirut: N.D.

14-Al-Ghazali: Abu Hamid al-Ghazali: Revival of the Religious Sciences: Edited by: Sayyid ʿImran: Vol. 1: 1st ed.: Dar al-Hadith: Cairo: 2004 CE.

15-Al-Ghazali: Abu Hamid al-Ghazali: The Chosen One in the Science of Fundamentals: Muhammad ʿAbd al-Salam ʿAbd al-Shafi: Vol. 1: 1st ed.: Dar al-Kutub al-ʾIlmiyyah: Beirut: 1413 AH.

16-Qadi ʿAbd al-Jabbar: The Superiority of Muʾtazilah and the Classes of Muʾtazilah: Edited by Fuad Sayyid: Dar al-Tunisiyyah for Publishing: 1979 CE.

17-The Brightness in the Principles of Jurisprudence, Abu Ishaq Ibrahim bin Ali bin Yusuf al-Shirazi, 2nd ed., Dar al-Kutub al-ʾIlmiyyah: 2003 CE.

18-The Problem of Text and Reason in Islamic Philosophy: Rawa Mahmoud: Dar al-Kutub al-ʾIlmiyyah: Lebanon: 1971 CE.

19-The Methodology of Ashʾarism in Creed between Facts and Illusions, Sheikh Muhammad Saleh bin Ahmad al-Gharsi: N.D.

20-Al-Nadwi: Abu al-Hasan: Abu al-Hasan al-Ashʾari: Vol. 1: 1st ed.: Al-Mukhtar al-Islami for Printing, Publishing and Distribution: Cairo: 1986 CE.